لهم عذرا (قل) انما يكون عذرا لو لم يكن لكم سبيل الى معرفتها لكن (هذه) الدلائل (سبيلي) الى تعريفها اذ (ادعو) الناس من دلائلها على توجيه ثوابها وتخويف عذابها (الى الله) المثيب المعاقب فيها الا بالانتقال مما خلا عنه الى ما أحاط به بل بالكون (على بصيرة) فيه بعد العمى عنه ولا يختص بي حتى لا يكون حجة اذا كون عليها (أنا ومن اتبعني) ورؤية الكثير حجة على العمى (و) لا مانع من اتباعي في ذلك اذ لا ادعي الالهية بنفسي بهذه البصيرة من تجليه لقلبي بل أقول (سبحان الله) من ان يظهر بالالهية في شئ والا كان المظهر شريكه (وما أنا من المشركين و) لا يشترط فيها التجلي المفضي الى دعوى الالهية فانه (ما أرسلنا) للدعوة الينا (من قبلك الا رجالا) لم يخرجوا من الانسانية الى دعوى الالهية بل غاية كمالهم انه (نوحي اليهم) ولم يشترط فيهم الاعتزال عن الناس بل كانوا (من أهل القرى أ) ينكرون رسالتهم مع دلالة اهلاك منكريها لعدم رؤيتهم قراهم (فلم يسيروا في الارض) التي ارسلوا فيها فانكر عليهم أهلها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) أنكروا عليهم (من قبلهم) فهي دليل صدقهم ولا يبطل هذه الدلالة حصول مثلها للبعض المتقين تكميلا لثوابهم وتعريضا للخير عن الادنى (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أ) لا يميزون بين ما يترتب على التقوى مما يترتب على التكذيب (فلا تعقلون) كيف وانما أهلكوا عند ما بالغوا في الانكار (حتى اذا استيأس الرسل) أي طلبوا منهم اليأس عن ايمانهم بتكثير الدلائل عليهم (و) لا أقل من ان (ظنوا انهم قد كذبوا) أي مضى بحيث لا يرجى عودهم الى التصديق (جاءهم نصرنا) بالانتقام من اعدائهم فان كان فيهم متقون (فنجي من نشاء) منهم ليدل على التمييز ولا يعم الانجاء لئلا يفضي الى الالجاء (و) لكن لا يبطل به التمييز اذ (لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) حتى انه يصيب من خرج عن مكانهم فان زعموا ان الاقتصاص ليس من الدعوة في شئ قيل لهم (لقد كان في قصصهم) ما يؤثر فيها اذ فيه (عبرة لاولي الالباب) اي الناظرين الى لبها وانما ينافي العبرة كذبها لكن (ما كان) المعجز (حديثا يفترى ولكن) يكون مع صدقه في نفسه (تصديق الذي بين يديه) من الكتب التي لا اعجاز فيها (و) ان زاد عليها كان (تفصيل كل شئ) اجمل فيها (و) ان لم يكن فيها اصلا كان (هدى) يزيد قوة نظرية (ورحمة) يزيد قوة عملية (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فيه ويعملون بمقتضاه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

الملائكة الذين يسفرون بين الله وبين أنبيائه واحدهم سافر يقال سفرت بين القوم اذا مشيت بينهم بالصلح فجعلت الملائكة

## *(سورة الرعد)*

سميت بها لما فيها من قوله عز وجل ويسبح الرعد بحمده الدال على الصفات السلبية والثبوتية مع الاخبار عن الامور الملكوتية ومع كون الرعد جامعا للتخويف والترجية وهذه من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بجميعيته في آياته كتابه حتى اتصفت بالكمالات الآتي ذكرها (الرحمن) بجعل كل كتاب بقدر استعداد المنزل عليهم (الرحيم) بانزال هذا الكتاب الجامع

كمالات

كمالات من تقدم عليه (الم) أى آيات لباب مجامع الرحمة أو أعلى لوامع مراتب الرفعة أو أنوار لوامع المعارف الربانية أو أسرار لطائف مكامن الرشد (تلك آيات الكتاب) أى آيات كل كتاب أنزل على نبى فانها الباب مجامع الرحمة على أمته أو أعلى لوامع مراتب رفعتهم أو أنوار لوامع معارفهم وأسرار لطائف مكامن رشدهم (و) الكتاب (الذى أنزل اليك) يا أكمل الرسل (من ربك) الذى هو أجمع الاسماء المنزلة لتلك الكتب هو الجامع لجميع ما فيها حتى انه (هو الحق) أى الثابت الذى لا ينتقل منه الى ما هو أجمع فيجب ان يؤمن به كل من آمن باحد تلك الكتب (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) ولا يبعد من الله اعطاء هذه الفضائل لبعض كتبه ثم تفضيل البعض الآخر عليه اذ (الله) هو (الذى رفع السموات) فجعلها فى أعلى مراتب الرفعة وجعل رفعتها (بغير عمد) لتشبه الرفعة الذاتية المتضمنة لوامع المعارف الربانية ويمكن تحريكها لتحصيل مجامع الرحمة وجعل المنفية هى التى (ترونها) ليدل على ان بها عمدا معنوية فتتضمن لطائف مكامن الرشد (ثم استوى على العرش) الذى هو أرفع من السموات والمعارف الالهية فيه اتم وهو مستوى اسمه الرحمن فهو أجمع لمجامع الرحمة وهو استوى فيه لطائف مكامن الرشد (و) لا يبعد من الله تنزيل هذه الكتب بعد هذه الرفعة ولا التفاوت فى مظاهر أنواره لانه (سخر الشمس والقمر) والتسخير اذلال ففيه انزال مع ان معرفة نوره فى الشمس أتم واحدهما أرفع من الآخر وقد جعل لطائف مكامن الرشد فى سيرهما الدالة على كمال حكمته ولا يبعد ان يكون لكل كتاب أجل مسمى فانه كاجل طلوع الشمس والقمر (كل يجرى لاجل مسمى) لانه مقتضى التدبير وهو بهذه الكتب (يدبر الامر) أى أمر الدين كما يدبر بالشمس والقمر أمر الفصول والفواكه وهو كما فصل الازمنة بالشمس والقمر (يفصل الآيات) بحسب الاستعدادات (لعلكم) تنالون لباب مجامع الرحمة وأعلى مراتب الرفعة ولوامع المعارف وأسرار الرشد اذ (بلقاء ربكم توقنون) مزيد التفصيل وهو سبب هذه الفضائل (و) كيف لا توقنون بلقائه مع انه كثر انعاماته عليكم اذ (هو الذى مد الارض) لاخراج النعم الكثيرة منها (و) جعل فيها اسبابها اذ (جعل فيها رواسى) يكثر فيها النبات وتحفظ تحتها المياه (و) بسط آثارها فى جميع الارض اذ جعل (أنهارا) منفجرة منها وذلك لتكثير النبات والاشجار لتكثير الحبوب والثمار كيف (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين) أى صنفين (اثنين) بستانى وجبلى ليفيد كل صنف فائدة غير فائدة الآخر فكان كل صنف نعمة بعد الانعام باصول الاصناف وجعل لاتمام الانعام بالاصناف المختلفة الطبائع لئلا تجتمع فتضار متناولها فصولا مختلفة اذ (يغشى الليل النهار) فبطول الليل يحصل الشتاء وبطول النهار يحصل الصيف وباحد الاعتدالين يحصل الخريف وبالآخر الربيع (ان فى ذلك لآيات) على لقاء الله (لقوم يتفكرون) فيعلمون ان تكثير النعم لجلب محبة المنعم بصرفها الى ما خلقت من أجله والا كانت موجبة للنقم والمحبة موجبة للرجوع اليه والانتقام بعد السؤال لا يكون بدونه وقبله يشبه الظلم وان هذا التدبير للحيوانية دون التدبير بانزال الكتب الناطقة وهو أولى بالرجوع وانه

اذا نزلت بوحى الله عز وجل وتأديه كالسفير الذى يصلح بين القوم وقال أبو عبيدة سفرة كتبة واحدهم سافر (قوله عز وجل والسماء

كما مد الارض مد العلوم وكما جعل فيها رواسى جعل فى العلوم علوما رئيسة هى علوم الشرعية وكما جعل فيها أنهارا جعل فى القلوب أنهار الكشوف وانه كما جعل فى الثمرات زوجين اثنين جعل فى منازل القرآن أحوالا ومقامات وانه كما يغشى الليل النهار يغشى ظلمة البشرية نور التجلى وكل ذلك للعلم بالله فان أخل بذلك فلا بد من السؤال عنه بالرجوع اليه ثم أشار الى انه لا يحتاج فيه الى هذه المقدمات بل يكفى فيه العلم بكمال القدرة والاختيار (و) قد ظهر ذلك (فى الارض) التى هى عنصر واحد (قطع) مختلفة لاجل اختلاف مطارح شعاعات الكواكب الى هى (متجاورات و) فى كل قطعة يختلف النبات اذ فيها (جنات من أعناب و زرع ونخيل) فان اسند ذلك الى اختلاف المواد فلا يتأتى فى اختلاف النخيل لانه (صنوان) وهو ما تعدد منه من أصل واحد (وغير صنوان) ولو كان لاختلاف المادة أثر لعارضه أثر ايجاد المادة وهو الماء لكن لا يعارضه اذ (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) مع ان مادة الماء أكثر من مادة الاصل (ان فى ذلك لآيات) على قدرة الله واختياره وحكمته (لقوم يعقلون) فيه تعريض بالفلاسفة المدعين كمال العقل مع نفيهم الاختيار (وان تعجب) أيها المتعجب من شئ (فعجب) عظيم (قولهم) بعد ظهور القدرة والاختيار والحكمة فى البعث (أئذا كنا ترابا) نبعث بعد العدم (أئنا لفى خلق جديد) مع انه لم يأت به دور من أدوار الفلك (أولئك) انما بعدوا عن الحق لانهم (الذين كفروا بربهم) القادر المختار الحكيم (و) جعلوه مضطرا الى استعمال الاسباب السماوية بحيث يكون بدونها مغلول القدرة وقد غلوا افكارهم عن النظر فى هذه الامور لذلك كان (أولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك) لقولهم بتعجيز الله عن احداث دور يكون فيه ذلك على تقدير التوقف على الاسباب وهو موجب لغضبه (أصحاب النار) التى هى أثر غضبه ولا يحجبهم تأثير الاسباب بحيث يوجبون افناء النار ما فيها بحيث لا يكون لله معارضة بذاته ولا بسبب (هم فيها خالدون) ليظهر فعله على خلاف مقتضى الاسباب (و) قد بلغوا من اعتقاد عجز الله عن تعذيبهم الى حيث (يستعجلونك بالسيئة) أى العذاب على الكفر (قبل الحسنة) أى الثواب على الايمان اذ يريدون ان يؤمنوا بعد ذلك العذاب فينالوا الحسنة مع انها ليست للمؤمن من اضطرار وانما هى للمختار فيه أو ينكرون العقوبة على الكفر (وقد خلت) أى مضت (من قبلهم المثلات) أى العقوبات التى يضرب بها المثل فى الشدة (و) انما لم يعجل عقوبة غيرهم ليشترقبح المعاصى عليهم (ان ربك لذو مغفرة للناس) أى الذين نسوا امثلات الاولين ليصروا (على ظلمهم) ليظهر عليهم بمزيد قهره وسلطنته كيف (وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا) انما يستعجل العذاب ليكون آية ملجئة فان لم ينزل (لولا أنزل عليه آية) أخرى ملجئة ليعلم كونها بالضرورة (من ربه) فاجيبوا بأنه لا يبقى التكليف مع الملجئة ويكفى الآية المنذرة (انما أنت منذر) لاعاقب فتأتى بالآية الملجئة التى تكون نفس المعاقبة أو مستلزمة لها كيف (و) آياتك انما تكون كآيات من تقدم

ذات الرجع) أى تنبت ما تمر ثم ترجع به فى كل عام وقال أبو عبيدة الرجع الماء وأنشد للمتنخل يصف السيف

غايتها

غايتها افادة الهداية اذ (لكل قوم هاد) فان زعموا ان الآية الغير المحكمة انما هي كالدليل العقلي فليكن كافيا أجيبوا بأنه انما يكفي في بعض الامور وثمة أمور لا يطلع عليها الا الله أو من أطلعه عليه بالكشف فني المحاسن والقبائح ما يخفى حسنه وقبحه خفاء الجمل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى و) في الخفيات ما ينقص محبة الله وما يزيدها فهي مثل (ما تغيض) أي تنقص من اجزاء الوالد (الارحام وما تزداد) من اجزاء الولد (و) لابد من هاد يبين مقادير الثواب والعقاب جاء من عنده اذ (كل شيء عنده بمقدار) فيطلع عليه من يبعثه للهداية ليبشر وينذر بمقدارهما بل الثواب والعقاب من الامور الغيبية التي لا يطلع عليها العقل وانما يطلع عليها الله لانه (عالم الغيب والشهادة) ولا بد من وقوعها لانه (الكبير) فيقتضي كبره كبر جوده وقهره ولا يكون جوده وقهره مثل ما يكون من غيره لانه (المتعال) عن حد المخلوقين فيكون طاعته وعصيانه مقتضيين لما هو جوده وقهره ولتعاليه تعالى سمعه عن ان يخفى عليه مسموع بل (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به و) تعالى بصره عن أن يخفى عليه مبصر بل سواء عليه (من هو مستخف) أي طالب للخفاء (بالليل) الذي هو وقت الخفاء ليزداد خفاء (وسارب) أي بارز (بالنهار) الذي هو وقت الظهور ليزداد ظهورا فلا مانع له من الجود والقهر من جهل ولا عجز وقهره بمقتضى عظمته بلا مانع وان أوجب اخذ العاصي حال العصيان لكن (له معقبات) أي ملائكة تؤخر قهره (من) طاعات جعلها (بين يديه و) طاعات يتوقع منه (من خلفه) وليسوا معارضين له ارادته قهره بل غايتهم انهم (يحفظونه) حفظا صادرا (من أمر الله) من أجل الطاعات الماضية أو المستقبلة ولا يقتضي ذلك دوام الحفظ بل ما دامت الطاعة الماضية باقية الاثر والمستقبلة متوقعة فاذا زال ذلك بطل الحفظ لذلك (ان الله لا يغير ما بقوم) من عافية ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الخصلة التي من أجلها الحفظ كيف ولا يمكن للملائكة الحفظ عند ذلك لانه وقت ارادة الله قهره (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له) من جهة الملائكة بالحفظ مع اقتضاء عظمته قهر المعاصي في الحال بلا مانع ولا من غيرهم كيف وحفظهم فرع موالاتهم (و) عند ارادة الله السوء بهم (مالهم من دونه من وال) يلي أمرهم موالاة تعارض الارادة الالهية مع كونهم دونه ولا يبعد من الله ان يأمر الملائكة بالحفظ مع اقتضاء عظمته قهر العاصي في الحال بلا مانع اذ (هو الذي) جمع بين القهر واللطف في أمر واحد هو البرق اذ (يريكم البرق) لتخافوا من حفظ الابصار (خوفا و) تطمعون في اهدائه الطريق (طمعا و) اكمل وجوه الطمع فيه اذ (ينشئ) من أجل معانه (السحاب الثقال) وصف به لان السحاب لما كان جنسا كان في معنى الجمع (و) أتم وجوه طمع الهداية فيه انه (يسبح الرعد) اي ينزهه عن البخل ملتبسا (بحمده) على جوده (و) هذا الطمع لا يخلو عن التخويف حتى انه يسبح (الملائكة من خيفته) من ظهوره بالهيبة في الرعد والبرق (و) في البرق ما هو أبلغ في التخويف اذ (يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) من بين العصاة وغيرهم فيخاف الملائكة من قهره مع عصمتهم (و) الكفار لا يبالون بقهره بل (هم يجادلون

أبيض كالرجع رسوب اذا ماساخ في محتفل يختلي
(قوله عز وجل سوط) عذاب الوط اسم العذاب وان لم يكن ثم ضرب

في الله) أي في توحيده وعموم علمه وقدرته (وهو) لغاية عظمته بلا مانع (شديد المحال) اى المكايدة فوق الاصابة بالصواعق واعلم ان السحاب هو البخار المنعقد والبخار هو الصاعد من أجزاء مائية وهوائية فان قل واشتد الحر انقلبت المائية هواء وان كثر أو لم يكن في الهواء حرارة فان وصل الى الطبقة الزمهريرية تقاطرت الاجزاء المائية ان لم يشتد البرد وان اشتد فان كان الجمود قبل الاجتماع ومصيره حبات كبارا فهو الثلج أو بعده فهو البرد وان لم يصل الى الزمهريرية فالكثير قد ينعقد وهو السحاب وقد لا ينعقد وهو الضباب القليل والذي لم يصل الى الزمهريرية قد يتكاثف ببرد الليل فينزل أجزاء صغارا وهو الطل ان لم يجمد وان جمد فهو الصقيع أما الرعد والبرق فمن الدخان الصاعد من أجزاء أرضية ونارية الى الزمهريرية تخالطه البخرة يتكاثف البخار وينعقد سحابا وينحبس الدخان في جوفه فيخرقه اما في صعوده لبقائه على حرارته وهبوطه لتكاثفه بالبرد الشديد فيحدث من خرق الدخان وتمزيقه للسحاب ومصاكته اياه صوت هو الرعد ويشتعل الدخان بقوة التسخين لما فيه من مائية وأرضية عمل فيهما الحرارة والحركة فاقترب مزاجه من الدهنية يشتعل بأدنى شئ ولطيفه ينطفئ سريعا وهو البرق وكثيفه لا ينطفئ سريعا وهو الصاعقة وهذا وان كان قول الفلاسفة فيجب أن ينظر في قولهم اذا لم يخالف الكتاب والسنة واجماع الامة هل لهم فيه مستند سالم أم لا وكيف لا يشتد محاله على من يجادل فيه وهم يقصدون بذلك ترك دعوته والانتقال الى دعوة غيره لكن (له دعوة الحق) أي دعوة يقتضيها الرأي الحق اذ يتوقع منه الاجابة الى تحصيل المطموع والامن من المخوف (والذين يدعون من دونه) لا يستحقون الدعوة اذ (لا يستجيبون لهم بشئ) من القول والفعل استقلالا أو شفاعة فليس الباسط كفيه اليهم بالدعاء (الا كباسط كفيه الى الماء) يدعوه (ليبلغ فاه) هو لو سمع دعاءه وأجاب بالقول (ما هو ببالغه) اذ لا قدرة له على البلوغ ولو كان له قدرة لم يجبه لانه كافر بربه (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي ضياع اذ ادعوا الله أو الاصنام أو أحد الجمادات وانما يجيبهم الشياطين قولا أو فعلا وكيف يستحق غيره الدعوة وهي تذال (و) هم أذلة بالنظر الى الله تعالى لذلك (لله يسجد من في السموات والارض) من العقلاء الذين هم أشرف خلقه فضلا عمن دونهم (طوعا) اذا انقاد هواهم لعقلهم (وكرها) اذا لم ينقد ولا بد من الانقياد لارادته وهو السجود الباطن ويظهر ذلك في الظلال (و) لذلك يسجد ظلالهم) بالانبساط على الارض (بالغدو والآصال) الى خلاف جهة الشمس فلا تكون ساجدة لها بل لربها فان زعموا ان في الاشياء ما لا يسجد ظاهرا ولا يظهر له سجود في الظل كالسموات والارض (قل) كفى في سجودهما كونهما مربوبين فسلهم (من رب السموات والارض) هل هو الذي له يسجد من فيهما أم لا حتى يختص باختصاص الدعوة والسجود له فان زعموا انهما قديمان (قل) ان صح ذلك فهما لامكانهما يفتقران الى رب قديم هو (الله) فان زعموا انه ظهر بالالهية في بعض الاشياء (قل أ) تعتقدون ظهور الالهية في الدون (فاتخذتم من دونه أولياء) مع انهم في القصور بحيث (لا يملكون لانفسهم) فضلا عن أن يملكوا لغيرهم

بالوط (قوله عز وجل بسعيكم اشتى) أي عملكم مختلف (قوله عز وجل سنيسره) أي سنهيئه للعودة الى العمل الصالح

(نفعا)

(نفعا) يجرونه (ولا ضرا) يدفعونه بل هم دونكم في المظهرية لانهم عماة وأنتم بصراء فان أصروا على تفضيلهم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) فضلا عن تفضيل الاعمى فان زعموا انهم أبصر في الباطن فهذا الباطن انما هو باعتبار ما تعلق بها من أرواح الشياطين فهي ظلمانية وأرواح الانسانية نورانية فهل يستويان (أم هل تستوى الظلمات والنور) فان جعلوها نورانية فلا شك ان الانبياء والملائكة أتم نورانية منهم أجعلوهم شركاء لله مع اعترافهم بالعبودية (أم جعلوا لله شركاء) أجل منهم اذ (خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) أى خلقهما (عليهم) فلم يفرقوا بينهما في الالهية (قل) ان صح ذلك مع حدوثهم فهل خلقوا أنفسهم أو خلقهم الله والاول باطل فتعين أن يقال (الله خالق كل شئ) لا يكون خالقا لمثله اذ (هو الواحد) الذى لا يجانسه غيره وكيف يكون المخلوق مثله وهو مقهور والخالق هو (القهار) فان زعموا انه لو كان واحدا قهارا لم يترك لغيره هذه الآثار أجيبوا بأنها من ظهوره بالصور في بعض الاشياء وبالآثار في البعض الآخر والكل بحسب الاستعدادات فان ظهوره في الاشياء كماء السماء (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أى بمقدار سعتها وعمقها ولا ينافي ذلك غلبة الشياطين وحصول الباطل فان ذلك كالزبد (فاحتمل السيل زبدا) وهو مع بطلانه انه في ذاته يظهر (رابيا) أى مرتفعا على الماء (و) كما ينقسم الجواهر الى الحق والباطل كالملائكة والانبياء والاولياء والعلماء والشياطين والكفرة المضلين ينقسم الافعال اليهما وان كانت مخلوقة لله فانه (مما توقدون عليه) مجعولا (في النار ابتغاء) أى طلب (حلية) من الذهب والفضة (أو متاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث من الحديد والنحاس والصفر (زبد مثله) أى مثل زبد الماء ثم أشار الى المقصود بقوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء) أى رميا الى الجوانب وهو مثل ذهاب آثار الشياطين واللذات المحرمة (وأما ما ينفع الناس) من الماء الصافى والاجسام المذابة (فيمكث) أى يبقى (في الارض) كذلك يبقى الانتفاع بالملائكة والانبياء والاولياء والعلماء والاعمال الصالحة وكما ضرب الله المثل بالزبد وما حصل منه للباطل والحق (كذلك يضرب الله الامثال) للعلوم النافعة والضارة فالنافعة تكون تارة بالكشف كالماء النازل من السماء وتارة بالفكر الموجب للحرارة يتخذ منه ما يتزين به الاعتقادات والاعمال ويحصل من كل منهما شبهات كالزبد فهى العلوم الضارة ثم انه يبقى العلوم والاعتقادات والاعمال ويذهب الشبهات بالنظر الصحيح (للذين استجابوا لربهم) دعوته فانتفعوا بماء الهداية الذى انزله من سماء علمه بطريق الكشف أو الفكر ونفوا عنه وعن أعمالهم زبد الشبهات والقبائح (الحسنى) اى كل خصلة حميدة يتصور بها اعلومهم واعتقاداتهم وأعمالهم فيبقى بقاء الجواهر (والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الارض جميعا) من الجواهر (ومثله معه لافتدوا به) من آثار اعتقاداتهم وأعمالهم فانها وان كانت مثل الزبد فيبقى آثارها بقاء الجواهر ولا يعارضها جواهر أخر اذ (أولئك لهم سوء الحساب) فيحاسبون بجميع قبائحهم التى لا يفى بها جواهر

ونسهل ذلك ويقال اليسرى الجنة والعسرى النار (قوله عز وجل والليل اذا سجى) اذا سكن

الدنيا (و) لكنها لكونها كالزبد ترى من جوانب الصراط وأولئك (مأواهم جهنم و) مع ذلك لا يحصل لها افناء الزبد لذلك يكون لهم (بئس المهاد) فان زعموا ان استجابة ذوى الخوارق من رهابين الكفرة وشياطين الاصنام استجابة الله يقال لهم (أ) لستم تبصرون ماهو هداية فى نفسه وضلال (فمن يعلم انما أنزل اليك) يا أكمل الخلائق (من ربك) أكمل الاسماء (الحق) الذى ينتقل منه الى ماهو أعلى فى باب الهداية (كمن هو أعمى) لا يبصر ما يفترقان به فى ذاتهما وينظر الى الخوارق وحدها لكن هذا الكمال لا يظهر لعامة النظار بل (انما يتذكر) فيحصل بالتذكر (أولوا الالباب) الناظرون الى بواطن الاشياء وليس المراد فى دقائق الامور الدنيوية بل فى دقائق الدين اذهم (الذين يوفون بعهد الله) الذى عهده على لسان رسله بمراعاة الدقائق (و) اذا رأوا فيه ناسخا ومنسوخا (لا ينقضون الميثاق) على الايمان بهما لرؤيتهم اشتمال كل منهما على أكمل مصالح زمانه (و) أيضا من أولى الالباب (الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من المساعى والاخلاق الباطنة (ويخشون ربهم) من أن يدعوا الكمال لانفسهم أن يغار عليهم (ويخافون) من ترك الاعمال خوفا من العجب والرياء (سوء الحساب) أن يحاسب محاسبتهم القبائح عليهم (و) أيضا من أولى الالباب (الذين صبروا) فى عبادة الله عن طلب ماسواه أو هرب منه بل عبدوه (ابتغاء) أى طلب رؤية (وجه ربهم) فى الآخرة (وأقاموا الصلوة) لمشاهدته الدنيوية (وأنفقوا) للفرار من حجاب المال (مما رزقناهم) من أملاكهم لا من الغضب (سرا) مع ما فيه من دفع العجب (وعلانية) مع ما فيه من دفع الرياء (و) اذا حجبوا بالمعاصى (يدرؤن) أى يدفعون (بالحسنة السيئة) أى بنور الحسنة حجاب ظلمة السيئة (أولئك) لكونهم أولى الالباب (لهم) وهم فى الدنيا (عقبى الدار) أى معرفة عواقب أمور الدنيا تنكشف لهم كأنهم الآن حصل لهم (جنات عدن) أى اقامة لاقامتهم على المعارف وان كانوا (يدخلونها) واحدة بعد أخرى (و) كيف لا يكون هؤلاء أولى الالباب الحاصل لهم ذلك النور وقد حصل بتبعيتهم لمن يتعلق بهم من كامل وناقص وأنقص اذ يدخلها (من صلح) لدخولها (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) فكيف لا يطلعون على البواطن (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المعارف يقولون لهم (سلام عليكم) من أن يقع غلط فى كشفكم (بما صبرتم) لتمييز ما هو هداية منه وما هو ضلال واذا كان لهم هذا فى دار الابتلاء (فنعم عقبى الدار) دار الجزاء والكشف التام لهم فهؤلاء هم البصراء (و) أما العماة فهم (الذين ينقضون عهد الله) فى الايمان بالناسخ والمنسوخ والاخذ بالناسخ المشتمل على الدقائق الكثيرة (من بعد ميثاقه) بذكره فى الكتب المنسوخة وبرعاية مصالح الازمنة وباشتمالها على الفوائد الجليلة فهؤلاء فى مقابلة الفرقة الاولى من أولى الالباب (و) فى مقابلة الثانية منهم الذين (يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الاخلاق والمساعى الباطنة (و) فى مقابلة الثالثة منهم الذين (يفسدون فى الارض) بالمعاصى وترك الطاعات الظاهرة وحذف الذين يشير الى انهم جمعوا بين الخصال التى بها مقابلة الطوائف لكمال عماهم

واسنون ظلمته ومنه بحر ماج أى ساكن.

*(باب السين المضمومة)* أى (قوله نعمالى سفهاء) أى

(أولئك) البعداء عن الله (لهم اللعنة) أى البعد عن معرفة العواقب بدل عقبى الدار (ولهم) بدل الجنات (سوء الدار) كانهم الآن فيها ولا ينافى ذلك بسط الرزق عليهم اذ (الله يبسط الرزق لمن يشاء) من متلذذ به ومتألم (ويقدر) أى يقبض لمن يشاء من متلذذ به ومتألم (و) لاعبرة بتلذذهم به اذ غايته انهم (فرحوا بالحيوة الدنيا) أياما قلائل بدل نعيم الآخرة (و) لو علموا مقدارما استبدلوه لانقلب فرحهم غما وألمالانه (ما الحيوة الدنيا) لو امتدت الى آخر الدهر اذا نظر (فى الآخرة الا متاع) يسير فى مقابلة أمر جليل كمن أبدات سلطنته بطعام يسير (ويقول الذين كفروا) بالآخرة كيف لا نفرح بالدنيا ولا نعرف الآخرة الا عن قول من لا آية له ملجئة (لولا أنزل عليه آية) ملجئة يعلم انها (من ربه) لانتفاء الاحتمالات معها دون غير الملجئة (قل ان) الاحتمالات معلومة الانتفاء بحسب العادة المستمرة فلا يقدح فى صدقها لكن (الله يضل) بها (من يشاء) مع ايقاع صدق الآية الغير الملجئة فى قلبه (ويهدى اليه من أناب) أى رجع الى ما وقع فى قلبه من صدقها وهم (الذين آمنوا) فصدقوا الله فيما أوقع صدقه فى قلوبهم (و) ذلك لعدم ترددهم فيما يوقع فى قلوبهم لثباتها على الحق اذ (تطمئن قلوبهم بذكر الله) فلا يقع فيها ما يوجب التردد والقلوب وان كانت متقلبة فى نفسها لكنها تترك هذه الطبيعة بذكر الله (الا بذكر الله تطمئن القلوب) الكاملة لكونها الى الله فلا تنقلب عنه لغلبة الايمان عليها كأنهم هم (الذين آمنوا و) لادامة الطمأنينة (عملوا الصالحات) المطيبة للنفوس المكدرة للقلوب لذلك يكون (طوبى لهم) أى لنفوسهم وقلوبهم وأرواحهم وأبدانهم (و) عند هذا الطيب يكون لهم الى الله تعالى (حسن مآب) ولا يختص الارسال بالآيات المفيدة للطمأنينة الى المؤمنين بل (كذلك) بالآيات المفيدة للطمأنينة (أرسلناك فى أمة) فنكرت بالكفر لو تركت العناد نظرا الى ما جرى على معاندى الامم الماضية بتكذيبهم آيات رسلهم اذ (قد خلت من قبلها أمم) مع ان آيتك أعظم اذ ارسلناك (لتتلو عليهم) الوحى المعجز (الذى أوحينا) من مقام عظمتنا (اليك) بأكمل الرسل (و) لو لم يؤاخذوا بتكذيبهم فلا شك انهم يؤاخذون بكفرهم بالله اذ (هم يكفرون بالرحمن) فان زعموا انهم يعرفون الله دون الرحمن الارحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (قل هو ربى) وان تعددت أسماؤه فمسماه واحد (لا اله الا هو) فان عاندتم (عليه توكلت) فى دفع عنادكم (و) لا يعسر على التوكل عليه اذ (اليه متاب) رجوعى الموجب للوحى والآيات لا الى الشياطين (و) لا يتركون العناد (لو أن قرآنا) معجزا فى نفسه حصلت فيه معجزات ملجئة اذ (سيرت به الجبال) فازيلت عن اماكنها (أو قطعت) أى صدعت (به الارض) عن كنوزها (او كلم به الموتى بل) لو جعل جميع مقترحاتهم من خواص القرآن والله تعالى قادر عليه اذ (لله الامر جميعا) لم يكونوا تاركى عنادهم وهو وان كان قادرا على ان يمنعهم العناد تركهم على اختيارهم (أ) يطمع المؤمنون فى ايمانهم بعد ما سمعوا الله يقول فيهم هذا القول (فلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم لو أنتم الآيات المقترحة غير راغبون فى تحصيلها لاجلهم بل يجب عليهم أن ينظروا فى (أن) أى ان

جهال والسفه الجهل ثم يكون لكل شئ يقال للكافر سفيه كقوله سيقول السفهاء من الناس

الشأن (لو يشاء الله) ان يترك الناس العناد (لهدى الناس جميعا) بالآيات الغير الملجئة (و) لكن يجعلها اشبه الملجئة اذ (لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من عنادهم صعها (قارعة) أى داهية تقرعهم وتقلقهم (أو تحل) القارعة (قريبا من دارهم) يتطاير اليهم شررها (حتى يأتى) الآية الملجئة أو يأتى (وعد الله) بالعذاب الاخروى وهو وان كان وعيدا فقد جعله وعدا للانبياء بنصرهم على أعدائهم (ان الله لا يخلف الميعاد) كيف يخلف ميعادك مع اصرارهم على عنادك بعد تواتر القوارع ولم يخلف ميعاد من دونك مع ان اصرار أممهم لم تكن بعد تواتر القوارع فانه والله (لقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) فلم يتواتر عليهم القوارع (ثم أخذتهم) فى الدنيا بعقاب (فكيف كان عقاب) فيقاس عليه عقاب الآخرة التى هى دار الجزاء على من زاد عليهم فى العناد مع من زاد على رسلهم بالفضيلة على انه لو لم يعدلم يترك معاقبتهم على مجرد الشرك والمعاصى بلا عناد (أ) يترك المعاقبة على المعاصى (فمن هو قائم) يطلع (على كل نفس) ليحيط (بما كسبت) من المعاصى كغير المترقب (و) لو يبال لمعاصيهم فكيف لا يبالى لشركهم اذ (جعلوا لله) الذى هو ملك الملوك (شركاء) فضلا عن الواحد مع ان أدنى الملوك لا يعفو عن شركة واحد فان زعموا ان له شركاء فى الواقع فلا يظلم بالمؤاخذة على القول المطابق للواقع (قل) لو كان له شركاء فى الواقع لوضع واضع اللغة لهم ألفاظا تدل على شركهم (سموهم) ليعلم انه هل فى أسمائهم ما يدل على شركهم أتقولون ان الواضع لم يضعه (أم) تقولون خفى على الواضع وهو الله فانتم (تنبؤنه بما لا يعلم) لكونه (فى الارض) وهو انما يعلم ما فى السماء (أم) تطلقون عليهم لفظ الآلهة من غير اعتبار معناها بل (بظاهر من القول) كما يسمى الزنجى كافورا من غير بياض فيه ولا رائحة طيبة (بل) لم يكن شئ من ذلك وانما (زين للذين كفروا مكرهم) أى تمويههم على أنفسهم بمعنى الآلهة فيها (وصدوا) بذلك التمويه غيرهم (عن السبيل) الموصل الى المعارف (ومن يضلل الله) بتمويهه على نفسه وغيره (فما له من هاد) من الدلائل والرسل والعلماء لكنهم يصيرون محجوبين لذلك (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالاسر والجزية والقتل (ولعذاب الآخرة أشق) كيف (وما لهم) هنالك (من الله) بعد ظهور مقتضيه (من واق) أى حافظ عن شدته اذ لا واقى هنالك سوى التقوى فانها تقى عن النار وعن فوات الجنة وانقطاع الانهار والثمار والظل اذ (مثل الجنة) أى صفتها العجيبة التى يعظم ألم فواتها لاجلها (التى وعد المتقون) انها (تجرى من تحتها الانهار) لاجراء تقواهم أنهار المعارف والعبادات عليهم لذلك (أكلها) أى ثمرها (دائم) اذا قطف حصل مكانه آخر وقايه له (و) ان لم يصل اليه أثر الشمس اذ (ظلها) أيضا دائم لاستظلالهم بظل التقوى وكيف لا يشتد بذلك ألم الكفار مع ان (تلك) الامور العظام (عقبى) أعدائهم (الذين اتقوا) فلم يوافقوهم على اعتقاداتهم وأفعالهم (و) لم يقتصر فى حق الكفار على فواتها وجعلها لأعدائهم بل

يعنى اليهود والجاهل سفيه كقوله تعالى فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا قال مجاهد

جعل (عقبى الكافرين النار) التى لها غاية الشدة فى نفسها انضم اليها شدة فوات تلك الامور وجعلها للاعداء وكيف لا يكون للمتقين تلك المآكل الغير المنقطعة وقد تغذوا من معانى هذا الكتاب ما لا ينقطع وكيف لا يكون لهم ذلك الظل وقد استظلوا بظلال دلائل هذا الكتاب التى لا تنقطع بالشبهات (و) لذلك ترى (الذين آتيناهم الكتاب) أى كتب الاولين (يفرحون بما أنزل اليك) اذ يحصل لهم به من المعانى والدلائل وكشف الشبهات ما لم يحصل لهم من تلك الكتب (و) ليس هذا على العموم بل (من الاحزاب) أى أحزاب أهل الكتاب (من ينكر بعضه) وهو مواضع النسخ (قل) انما ينكر فى النسخ ما ينافى عبادة الله أو يوجب الشرك أو يدعو الى غير الله أو يكون راجعا الى الغير من غير قصد ونسخ هذا الكتاب ليس كذلك (انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه ادعو واليه مآب) فليس فيه نسخ هداية بضلال حتى يبطل دلالة معجزاتى (و) كيف ينكر النسخ وغايته انه تبديل الحكم باعتبار المناسبة كتبديل اللسان فانه كما أنزلناه على الاولين ما يناسب حالهم بلسانهم (كذلك أنزلناه حكما عربيا) أى مناسبا لحال العرب على لسانهم (و) المنسوخ وان كان هدى لاهله لم يبق بعد النسخ هدى بل صار هوى سيما فى حق من بعد عن مناسبتهم لذلك والله (لئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) لانه لم يبق مناسبا لهم فضلا عن أن يناسبك (مالك من الله من ولى) من الرسل يقربك اليه وان كان مقربا به قبل النسخ (ولا واق) يحفظك من عذابه بكونه فى الجملة حكم الله اذ صار هوى محضا (و) كما لا يقدح فى رسالتك شبهة اليهود بالنسخ لا يقدح فيها شبهة النصارى بالازواج والاولاد فانه (لقد أرسلنا رسلا من قبلك) باتفاق بينك وبين النصارى (و) لم يقدح فى رسالتهم الازواج والاولاد لانا (جعلنا لهم أزواجا وذرية و) كذا شبهة مقترحى الآيات فانه (ما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) ولا يبعد أن يختص كل رسول بحكم وآية اذ (لكل أجل) أى زمان ينتهى على مقدار مخصوص (كتاب) أى حكم وآية مكتوب فيه ينتهى بانتهائه ولا بعد فى هذا الانتهاء ولا فى اثبات الضد فانه (يمحوا الله ما يشاء) من الاحكام والآيات (و) يثبت ما يشاء منهما (و) ليس ذلك بطريق البداء على الله بل (عنده أم الكتاب) وهو اللوح المحفوظ الذى قدر فيه الامور بحسب الازمنة والاشخاص بطريق التخصيص (و) بالجملة ليس ذلك منك كما انه ليس منك ما ترتب عليه من الجزاء بل ليس لك تكميل ما نقص ولا نقص ما كمل منه (امانرينك) أى ان نحقق اراءتنا لك فى حياتك (بعض الذى نعدهم) فليس لك استكماله (أو نتوفينك) أى وان نحقق توفيتنا لك قبل اراءة شئ مما نعدهم لتكمله عليهم فى الآخرة فليس لك نقصه فيها (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب أ) يتكرون محو أحكامهم مع ظهور ارادتنا محو دينهم (ولم يروا أنا نأتى الارض) أى أرض سائر أهل الاديان (ننقصها) عليهم باظهار دين الاسلام (من أطرافها) أى اطراف ممالكهم الحافظة للوسط (و) ليس ذلك بطريق الابتلاء بل (الله يحكم) باقامة الدلائل ورفع الشبه بحيث (لا معقب) أى لا مبدل

السفيه الجاهل والضعيف الاحمق ويقال للنساء والصبيان سفهاء لجهلهم كقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يعنى

(لحكمه) بقول ولا فعل (و) ليس ذلك بتطويل المقدمات أو مضى المدة المديدة ليكون من بعد عهد الاولين اذ (هو) فى اظهار هذا الدين (سريع الحساب) يظهره بمقدمات أولية قليلة فى مدة يسيرة مقدارثلاثين سنة تقريبا (و) لا يمنع سرعة حسابه مكر الكفار قولا بالقاء الشبه ولا فعلا فانه (قد مكر الذين من قبلهم) على أنبيائهم فدفعه الله عنهم ولا يبعد من الله أن يقلب عليهم مكرهم (فلله المكر جميعا) كيف وقد استحقوا أن يمكر الله عليهم اذ (يعلم ما تكسب كل نفس و) من مكره بهم اخفاء فوات الآخرة عليهم مدة حياتهم فانه (سيعلم الكفار) بعد موتهم (لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا) انما يفوتنا ذلك لو كنت مرسلا لكنك (لست مرسلا قل) قد مكر الله بكم فى اخفاء رسالتى عليكم مع اظهارها بالمعجزات فانه (كفى بالله) باعطاء المعجزات (شهيدا) شهادة قاطعة للنزاع (بينى وبينكم و) لو أنكرتم كون آياتى معجزات كفى (من عنده علم الكتاب) كعبد الله بن سلام فانه علم من اطلاعه على كتب الاولين اعجاز هذا الكتاب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

النساء والصبيان (قوله عز وجل سورة) غير مهموزة منزلة ترتفع الى منزلة أخرى كسورة البناء وسؤرة مهموزة قطعة

## * (سورة ابراهيم) *

سميت به لاشتمالها على دعوات لابراهيم عليه السلام تمت بهذه الملة كالحج وجعل الكعبة قبلة الصلاة مع الدلالة على عظمتها بحيث صارت من المطالب المهمة المتفق على غاية كمال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبوة نبينا عليه أكمل التحيات وأفضل التسليمات مع غاية كماله وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالات ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله فى كتابه (الرحمن) بانزاله لاخراج الناس من الظلمات الى النور (الرحيم) بهدايتهم الى صراط العزيز الحميد (الر) أى أجل لوامع الرشد أو أعلى لواء الرفعة أو أتم لباب الرحمة أو أعز لطائف الربوبية (كتاب أنزلناه اليك) بأكمل الخلائق فى الاتصاف بهذه الصفات لتكميلهم فيها (لتخرج الناس) أى الذين ذواما فى استعدادهم من الاستنارة بنور الله والاتصاف بصفاته والاتيان بأعمال تتبع التخلق بها حتى يحصل لهم أعلى لواء الرفعة وأجل لوامع الرشد وأتم لباب الرحمة وأعز لطائف الربوبية (من الظلمات) أى ظلمات وجودهم وصفاتهم (الى النور) أى نور الذات المستلزم للاتصاف بصفاته لا بطريق الاكتساب بل (باذن ربهم) أى بتيسيره لهم هذه الفضائل لا الى حد الافراط بدعوى الالهية لانفسهم ولا الى حد التفريط بالاستغناء عن طاعته بل (الى) اعتدال (صراط العزيز) الذى من عزته لم يظهر بما هو كماله فى شئ حتى يوصف بالالهية (الحميد) بحفظ العبد عند فنائه فيه وبقائه به عن تعطيل ظاهره عن الطاعات الظاهرة فغاية أمره أن يرى غلبة نور الحق وصفاته الحميدة على وجود العبد وصفاته ولا يختص بذلك نفسه بل يقول (الله) هو (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ولو من غير العقلاء مظاهر لا وجود لشئ منها بدون ظهوره فيها (و) ليس ظهوره فيها التصير